

الملك داود وبرزلاي الجلعادي

(Arabic - King David and Barzillai)

أحبائي.. موضوع حديثنا اليوم عن: الملك داود وبرزلاي الجلعادي

ومن سفر صموئيل الثاني الأصحاح التاسع عشر نقرأ الأعداد من الثاني والثلاثين إلى الخامس والثلاثين:

"وكان برزلاي قد شاخ جدا. كان ابن ثمانين سنة. وهو عال الملك عند إقامته في محنايم لأنه كان رجلا عظيما جدا. فقال الملك لبرزلاي اعبر أدت معي وأنا أعولك معي في أورشليم. فقال برزلاي للملك كم أيام سني حياتي حتى أصعد مع الملك إلى أورشليم. أنا اليوم ابن ثمانين سنة. هل أمير بين الطيب والردىء وهل يستطيع عبدك بما أكل وما أشرب وهل أسمع أيضا أصوات المغنين والمغنيات فلماذا يكون عبدك أيضا ثقلا على سيدي الملك".^١

عاش داود الملك أياما حلوة استمتع فيها بحب الناس له والتفافهم من حوله. وكان مطمئن القلب حين كانت دعائم ملكه قوية ثابتة. ولكنه ذاق مرارة أيام قاسية إذ انخدع بحيل إبليس فسقط في الخطية. وواجه نتائجها. وكان أشدها أنه فقد سلامه مع الله. وفي المزمور السادس عبر داود الملك عن حاله وقتها بقوله: "تعبت في تنهدى. أعوم في كل ليلة سريري بدموعي أدوب فراشي". ولقد تمرّد عليه ابنه أبشالوم. واستمال غالبية الشعب إليه. محاولا إقصاء أبيه عن العرش ليأخذ مكانه. وشبت نيران حرب مريرة بين الابن وأبيه. ومهما كانت الحروب بشعة. فليس أشبع من أن تتدلج بين ابن وأبيه. ترك الملك داود أورشليم هاربا من وجه ابنه أبشالوم وذهب إلى محاناييم وأقام فيها. وجد هناك رجلا يدعى برزلاي الجلعادي. كان عوناً له ولرجالته في محنته القاسية. لقد عال الملك كل أيام إقامته في محاناييم ويسجل الكتاب هذا القول عن برزلاي: "لأنه كان رجلا عظيما جدا". وانتهت الحرب بانتصار رجال داود على أبشالوم ورجاله.^٢

مات أبشالوم ابن داود إذ قتلوه في الحرب. فحزن عليه أبوه وبكى بكاءً مرًا. فقد سبق وأوصى قواد جيشه أن يترفقوا به. ولكن الحرب هي الحرب ولا يعرف المتحاربون كيف يترفقون. وفي طريق عودة داود الملك إلى أورشليم. ليتبوأ العرش من جديد النفت حوله الشعب ثانية بجميع أسباطه. وقبل مغادرته لمحاناييم وهي البلدة التي أوتته حين كان هاربا. أراد داود أن يحسن إلى برزلاي الجلعادي. ويكافئه على حسن صنيعه معه وهو مطارّد. ولكن الرجل الشيخ أبدى اعتذارا وفضل أن يُكرم الملك ابنه كمهام عوضاً عنه.. واستجاب الملك داود لطلبه.. وقد دار حديث شيق بين الملك داود وبرزلاي الجلعادي.. وبالتأمل في سيرة الرجل الذي وصفه الوحي بأنه كان رجلا عظيما جدا. نكتشف سبعة أسباب كانت سرّ عظمتيه.. نتعلم منها دروسا ما أحوجتنا إليها.

أولا: كان برزلاي عظيما لأنه ناصر الحق ولم يندخ برأى الأغلبية.. فحين تحايل أبشالوم بمكر لكسب أغلبية الشعب في جانبه وقد كسبهم فعلا.. لم يجرف تيار الأغلبية برزلاي لأنه كان رجلا حكيما. يعرف كيف يميز بين تأديب الرب لأولاده وبين دينونة الرب لأعدائه.. الرافضين عبادته والخضوع لمشيئته.. ولا شك أن برزلاي سمع قصة شمعي بن جيرا الذي خرج إلى الملك أثناء هروبه من أورشليم. ولقد كان يسبه ويرشقه بالحجارة.. لم يقتص منه داود بل قال لرجاله: "دعوه يسب لأن الرب قال له". ما انحاز برزلاي لأبشالوم وقد بدا وقتها قويا بالأغلبية. لم يقف على الحياد حرصا على ممتلكاته وحذرا من بطشه لو انتصرت الأغلبية على الأقلية.

ثانيا: كان الجلعادي عظيما لأنه أعطى بسخاء ومن تلقاء نفسه.. فلم يطلب منه داود ورجاله عونا. ولكنه سارع بالمعونة هو وأصدقائه. فقد أدركوا بقلوبكم الرحيمة كما جاء بالكتاب "أن الشعب جوعان ومتعب

وعطشاناً في البرية فقدموا فرشاً وطسوساً وأنية خزف وحنطة وشعيراً ودقيقاً وفريكاً وعدساً وحمصاً مشوياً وعسلاً وزبدة وضأناً وجبن بقر لداود وللشعب الذين معه ليأكلوا".^١

ثالثاً: كَانَ عَظِيمًا لِأَنَّهُ لَمْ يَكْفِ يَوْمًا عَنِ الْعَطَاءِ.. لَمْ يَكُنْ حَمَاسًا وَقَتِيًّا بَلْ كَانَ اقْتِنَاعًا رَاسِخًا قَوِيًّا وَتَصَمِيمًا عَلَى الْمَسَانِدَةِ وَالْإِعَالَةِ بِكُلِّ الْإِمْكَانِيَّاتِ وَمَهْمَا طَالَ الْأَمَدُ. لَمْ يَقْدَمْ بَرَزَلَايَ مَعُونَتَهُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ وَاكْتَفَى بِذَلِكَ. لَقَدْ أَنْفَقَ بَرَزَلَايَ بِسُرُورٍ وَبِكُلِّ سَخَاءٍ طَوَالَ فِتْرَةِ إِقَامَةِ الْمَلِكِ دَاوُدَ وَرَجَالِهِ فِي مَحَانِيْمٍ. لَا شَكَّ أَنَّ بَرَزَلَايَ كَانَ غَنِيًّا جَدًّا لَدَرَجَةِ أَنَّهُ غَطَى مَعَ أَصْحَابِهِ اِحْتِيَاجَاتِ الْجَمَاعَةِ الْكَبِيرَةِ. لَقَدْ كَانَ يَعْرِفُ هَذَا الْغَنَى جَدًّا أَنَّ الرَّبَّ قَدْ ائْتَمَنَهُ عَلَى الْمَالِ الْوَفِيرِ لِيَوْمٍ كَهَذَا.. لِذَلِكَ لَمْ يَقْصُرْ يَوْمًا فِي إِعَالَةِ الشَّعْبِ الْجُوعَانَ الْمَتَعِبِ وَالْعَطْشَانَ فِي الْبَرِيَةِ.

رابعاً: كَانَ عَظِيمًا جَدًّا لِأَنَّهُ حِينَ أُعْطِيَ لَمْ يَكُنْ يَنْتَظِرُ الْمَقَابِلَ.. أَرَادَ دَاوُدَ النَّبِيَّ أَنْ يَكْفِيَ بَرَزَلَايَ وَقَالَ لَهُ: " اَعْبُرْ أَنْتَ مَعِيَ وَأَنَا أُعْطِيكَ مَعِيَ فِي أُورُشَلِيمَ.. " فَأَجَابَهُ بِالْقَوْلِ: "لَمَّاذَا يَكُونُ عَبْدُكَ أَيْضًا تَقْلًا عَلَى سَيِّدِي الْمَلِكِ وَلَمَّاذَا يَكْفِيَنِي الْمَلِكُ بِهَذِهِ الْمَكَافَاةِ دَعْ عَبْدَكَ يَرْجِعُ.. " لَمْ يَقْبَلْ بَرَزَلَايَ أَنْ يَكُونَ تَقْلًا عَلَى أَحَدٍ وَمَا ارْتَضَى أَنْ يَعُولَهُ الْمَلِكُ فِي أُورُشَلِيمَ.. مَا ارْتَضَى مَكَافَاةَ نَظِيرٍ وَاجِبَ آدَاءِ بَوَازِعِ مَنْ ضَمِيرِ حَسَّاسٍ وَقَلْبِ كَبِيرٍ.

خامساً: كَانَ عَظِيمًا لِأَنَّهُ عَرَفَ مَا يُنَاسِبُهُ وَهُوَ شَيْخٌ.. لَقَدْ قَالَ لَهُ الْمَلِكُ: "اَعْبُرْ أَنْتَ وَأَنَا أُعْطِيكَ فِي أُورُشَلِيمَ". كَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْعُمُرِ وَقْتِذَلِكَ ثَمَانِينَ سَنَةً فَإِذَا كَانَ غَيْرِهِ يَحْسِبُهَا فَرِصَةً لَا تَعُوضُ لِيَتْرَكَ الْمَدِينَةَ الصَّغِيرَةَ وَيَمْكُثُ مَعَ الْمَلِكِ فِي الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ. يَأْكُلُ مَعَ الْمَلِكِ عَلَى مَائِدَتِهِ وَيَخَالِطُ الْعِظَمَاءَ. إِذَا مَرَضَ اجْتَمَعَ حَوْلَهُ أَمَهْرُ الْأَطْبَاءِ لَا مَعَانَاةَ مِنْ وَحْدَةٍ وَلَا إِحْسَاسَ بِمَلَلٍ. فَإِنْ لَمْ تَكُنْ الْمَسْلِيَّاتِ وَالْحَفَلَاتِ فِي قُصُورِ الْمُلُوكِ فَأَيْنَ تَكُونُ؟. لَمْ يَحْسِبْهَا ذَلِكَ الشَّيْخُ كَذَلِكَ. لَمْ يَخَادِعْ نَفْسَهُ بَلْ عَرَفَ مَا يَنَاسِبُهُ. كَانَ عَظِيمًا لِأَنَّهُ لَمْ يَقْحَمْ نَفْسَهُ فِيمَا لَا يَنَاسِبُهُ. كَانَ مَا يَنَاسِبُهُ الصَّحْبَةَ الْهَادِنَةَ مَعَ أَتْرَابِهِ وَمَعَ الذِّكْرِيَّاتِ الْحُلُوةِ لثَمَانِينَ مِنَ الْأَعْوَامِ انْقَضَتْ فِي سَلَامٍ وَأَمَانٍ.

سادساً: كَانَ عَظِيمًا لِأَنَّهُ تَرَكَ لِأَوْلَادِهِ أَعْظَمَ مَا يَتْرَكَ الْآبَاءُ لِلْأَبْنَاءِ.. قَالَ بَرَزَلَايَ الشَّيْخُ لِدَاوُدَ الْمَلِكِ: "هُوَذَا عَبْدُكَ كَمَهْمًا يَعْجُرُ مَعَ سَيِّدِي الْمَلِكِ فَأَفْعَلْ لَهُ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكَ". فَأَجَابَ الْمَلِكُ: "إِنْ كَمَهْمًا يَعْجُرُ مَعِيَ فَأَفْعَلْ لَهُ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكَ وَكُلَّ مَا تَتَمَنَّاهُ مِنِّي أَفْعَلْهُ لَكَ". وَعَبَّرَ الْمَلِكُ إِلَى الْجَلَالِ وَعَبَّرَ كَمَهْمًا ابْنُ بَرَزَلَايَ مَعَهُ.. وَيَسْجَلُ الْكِتَابَ أَنَّ دَاوُدَ الْمَلِكِ أَحْسَنَ إِلَى عَائِلَةِ بَرَزَلَايَ وَأَوْصَى أَيْضًا ابْنَهُ سَلِيمَانَ بِهِمْ. إِنَّ الَّذِي يَنْفَقُ مَالَهُ حَسَبَ قِصْدِ اللَّهِ وَتَحْقِيقًا لِمَشِيئَتِهِ لَا يَضِيْعُ مَالَهُ هَبَاءً بَلْ يَكُونُ بَرَكَةً مُضَاعَفَةً لَهُ وَالْأَوْلَادُ مِنْ بَعْدِهِ.. قَالَ دَاوُدَ النَّبِيَّ فِي مَزْمُورِهِ السَّابِعِ وَالثَّلَاثِينَ: "كُنْتُ فَتًى وَقَدْ شَخْتُ لَمْ أَرْ صَدِيقًا تَخْلِي عَنْهُ وَلَا ذَرِيَّةَ لَهُ تَلْتَمِسُ خَبْرًا".^٢

سابعاً: كَانَ بَرَزَلَايَ عَظِيمًا لِأَنَّ مُغْرِيَّاتِ الْعَالَمِ لَمْ تَحْجِبْ نَاطِرِيهِ عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى السَّعَادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ.. لَمْ يَنْسَ أَنْ خَطَوَاتِهِ تَدْنُو مِنَ الْحَيَاةِ الْآخَرَى.. قَالَ بَرَزَلَايَ لِلْمَلِكِ دَاوُدَ: "دَعْ عَبْدَكَ يَرْجِعُ فَمُوتَ فِي مَدِينَتِي عِنْدَ قَبْرِ أَبِي وَأُمِّي.. " فَلَيْسَتْ الْأَيَّامُ الْقَلِيلَةُ الْبَاقِيَةُ لِيَنْفَقَهَا فِي مَتْعِ الدُّنْيَا الزَّائِلَةِ.. بَلْ هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي "شَرِيعَةِ الرَّبِّ" مَسْرُوتُهُ وَفِي شَرِيعَتِهِ يَلْهَجُ نَهَارًا وَلَيْلًا كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ مَجَارَى الْمِيَاهِ.. "كَالْخَلَّةِ يُزْهِرُ وَفِي الشَّيْبَةِ يُثْمِرُ". وَثَمَارُ أَعْمَالِهِ بَرَكَةٌ لِأَوْلَادِهِ وَلِمَعَارِفِهِ.. وَلِسِيرَةٍ عَطْرَةٍ تَتَنَاوَلُهَا الْأَجْيَالُ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ.^٣

عزيزي القارئ.. لبيتنا نضع برزلاي مثلنا نحتذى به "فمن أطمع جائعاً وأراح متعباً وردَّ خاطئاً عن ضلال طريقه كان عظيماً حقاً"... لبيتك أخي تشترك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. هبني أن أتعلم كيف أعطى من قلب خالص الحب لكل محتاج. ولا أكف عن العطاء والبذل. وأن تكون مسرتي في العطاء السخي دون انتظار لمقابل. هبني أن أكون قانعاً مكتفياً بما عندي. شاكرًا لإحسانك على الدوام.. أرفعُ صلاتي في اسم فادي ومخلصي وثقاً أنك قد استجبت لي.. يَا مَنْ وَعَدْتُ بِقَوْلِكَ: مَنْ يُقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرَجُهُ خَارِجًا.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر صموئيل الثاني ١٧: ٢٨-٢٩

^٢ سفر صموئيل الثاني ١٩: ٣٨-٣٩ ، سفر الملوك الأول ٢: ٧ ، سفر المزمير ٣٧: ٢٥ ،

^٣ سفر المزمير ١: ٣ & ٩٢: ١٤